رياضة

نمر جبر

أكاديميّات أوروبا رافد مالي وخزّان بشري فوضى عشوائيّة في لبنان وأهداف بحت تجاريّة

قد يعتقد البعض من متابعي كرة القدم ان ارباح الاندية تأتي في غالبيتها من عائداتها التجارية والاعلانية او نتائجها الايجابية، لكن هناك رافدا ماليا اساسيا ومهما جدا تعول عليه الكثير من الاندية الكبرى ماليا، وهو الاكاديميات الخاصة بها، والتي تستثمر فيها الكثير من المال لتحصد لاحقا نتاج ما زرعته اضعافا

تسعة اندية عالمية يمكن الاشارة اليها بانها اشبه بمصانع لانتاج المواهب، وهي التي تعمل بجهد لصقل المواهب من خلال اكاديمياتها، بعضها للاستفادة منها في فريقها الاول، وتحديدا عندما يرتبط الامر بالاندية الاوروبية. اما البعض الاخر، فهو يستند الى اكاديميته من اجل انعاش خزائنه المالية عبر بيع ابرز منتجاته، وهي المسألة التي ترتبط غالبا باندية اميركا الجنوبية التي اعتادت على تصدير المواهب المميزة الى اوروبا.

من هنا، كان العمل الحثيث من هذه الاندية على خلق مكان مثالي لزرع بذورها قبل قطف ثمارها، وهو ما حتم عليها الاستثمار بمبالغ كبيرة في المرافق الخاصة بها من اجل تأمين الارضية اللازمة لتطوير المواهب بافضل شكل ممكن قبل نقلها الى عالم الاضواء. واللافت، ان هذه الاندية لم تبخل ابدا في صرف المبالغ الطائلة من اجل تطوير وتحسين كل الامور اللوجستية المحيطة بقطاع الناشئين فيها كونها تعرف بأن لاعبا واحدا يمكن ان يعوض كل الاموال التي صرفتها من خلال حمله الكؤوس اليها او من خلال بيعه بمبلغ كبير في سوق الانتقالات.

من البرتغال الى البرازيل تبدو القصة متشابهة، فباتت القيمة التقديرية لاكاديميات الاندية بمئات الملايين، ويتصدرها حاليا بنفيكا البرتغالي بقيمة وصلت الى 670 مليون يورو، يليه تشيلسي الانكليزي بـ630 مليونا، وثم برشلونة الاسباني بـ581 مليونا، متقدما على اجاكس امستردام الهولندي الذي تبلغ القيمة المالية لاكاديميته 555 مليونا، في مقابل قيمة وصلت الى 510 ملايين لمانشستر سيتي الانكليزي، و491 مليونا لباريس سان جيرمان الفرنسي. اما المراكز الثلاثة الاخيرة فهي كانت لاندية برازيلية حصرا، على رأسها ساو باولو الذي تقدر قيمة اكاديميته بـ474 مليون يورو، يليه سانتوس بـ444 مليونا، وثم فلامنغو بقيمة وصلت الى 438 مليونا.

اذا نظرنا الى اسماء هذه الاندية، لا نستغرب وجودها في هذه اللائحة، اذ ان بنفيكا اعتاد على تخريج افضل نجوم البرتغال الذين انتقلوا للعب مع اكبر الاندية الاوروبية، والامر عينه فعله اجاكس، بينما استفاد برشلونة ومانشستر سيتي وتشيلسي من خريجي اكاديمياته لفترة طويلة، ومثلهم باريس سان جيرمان قبل ان يتخذ توجها مختلفا في الاعوام الاخيرة بدفعه المبالغ الضخمة لاستقدام ابرز نجوم العالم. اما ساو باولو وسانتوس وفلامنغو فهي عاشت بحبوحة دائمة بفعل بيعها اسماء كبيرة الى اوروبا، وهي التي انتجت نجوما كبار وعظماء خلدت اسماؤهم في تاريخ اللعبة، امثال كاكا من ساو باولو، و"الملك" الراحل بيليه من سانتوس، والنجم السابق زيكو من فلامنغو.

لكن ما قد يكون مفاجئا لكثيرين هو تصدر بنفيكا للائحة بقيمته المالية، وهي مسألة لها اسبابها الدقيقة والتي تفسر سبب نجاحات بنفيكا محليا وفي عملية انتاج المواهب الفذة. فاكاديميا نادي العاصمة البرتغالية رفعت اصلا من مستوى عمل الاندية حول اكاديمياتها في بلادها حيث بات تطوير الاكاديميات في صلب مشاريع ادارات هذه الاندية، وهو ما بدا جليا من خلال ما انتجه سبورتينغ لشبونة او بورتو ولو بدرجة اقل.

ولا شك في ان الافضل في البرتغال "جامعة بنفيكا"، كما تعرف الاكاديميا بالنظر الى جودة مستوى تعليمها الكروي، التي انتجت العديد من نجوم اللعبة منذ تدشينها بحلتها الحالية عام 2006، فتخرج منها برناردو سيلفا، ريناتو سانشيز، جواو فيليكس وغيرهم من اللاعبين النجوم في انديتهم.

هذه الاسماء تحديدا وغيرها عززت سمعة الاكاديميا البرتغالية التي رفعت من سقف المعايير في عملية تطوير المواهب للاندية الاخرى في جميع انحاء العالم بعدما انشأت برنامجا شاملا يرعى الصغار الموهوبين طوال كل مراحل صقل امكاناتهم الفطرية. كل هذا بفضل نظام تدريبي صارم يرتكز على تطوير القدرات التقنية للاعبين وفكرهم التكتيكي في سن صغيرة، اضافة الى تحسين امكاناتهم البدنية والذهنية بحيث يصبحون قادرين على تحمل الضغوط على انواعها طوال مسيرتهم.

يعتمد نادي بنفيكا لتنفيذ برامجه على بنية تحتية ضخمة مؤلفة من 9 ملاعب للتمارين، ثلاثة منها بارضية عشبية طبيعية، والاخرى بارضية اصطناعية. اضف الى هذه الملاعب صالة للياقة البدنية وحمامات سباحة وغرف للعلاج الفيزيائي الطبيعي، مما يؤمن كل حاجات المدربين والتقنيين، ويدخل اكثر اللاعبين في المجال الاحترافي المثالي.

كما تركز هذه الاكاديميا على تحليل "الداتا" وفق طرق علمية من اجل متابعة تطور اي لاعب ومعرفة نواقصه في المباريات والحصص التدريبية، وهو ما يساعد المدربين على تحديد الجوانب التي يجب العمل عليها، وايضا للكشف عن هوية اللاعبين القادرين على التطور بشكل اكبر واسرع ليكونوا نجوم المستقبل.

اكاديميا بنفيكا لا تفوت اي تفصيل، فهي تشكل مساحة للتعليم وتثقيف اللاعبين لناحية منحهم دروسا في التغذية، التعاطي مع الاعلام، ادارة اموالهم، وايضا دروسا بسيكولوجية تساعدهم في فهم محيطهم اكثر حاضرا ومستقبلا، وهي مسألة تشكل حاجة لأي لاعب ينتقل للعب في بلد غريب عليه، فتساعده كما الجوانب الاخرى على النجاح داخل الملعب وخارجه. اما الحلقة الاخيرة من اسرار نجاح بنفيكا فهي شبكة الكشافين التي يملكها في البلاد وحول اوروبا لاستقطاب ابرز المواهب، بحيث يحضر الكشافون في كل الدورات الدولية عائدين بتقارير تضيء على ما يسمونه الاحجار الثمينة التي ستدر الاموال الكثيرة.

في المقابل، تعيش الاكاديميات الرياضية في لبنان حالا من الفوضى، وهي تجتاح كل المناطق اللبنانية الى حد كبير، من دون رقابة. والنتيجة فورة من الاكاديميات غير المحترفة ينتج منها تراجع في المردود الرياضي الصحيح.

منطقيا، لا يجوز المقارنة بين الامكانات والقدرات التي تمتلكها الاكاديميات في البلدان المتقدمة وتلك المتوافرة للاكاديميات المحلية. فميزانية اصغر اكاديميا من الصف الثاني وحتى الثالث في اوروبا تضاهي اضعاف ميزانية وزارة الشباب والرياضة في بلدنا ومجموع ميزانيات جميع الاكاديميات. من الظلم مقاربة النتائج الفنية او الانتاجية، خصوصا ان غالبية هذه الاكاديميات لا تملك بنى تحتية متطورة او منشاءات عالية الجودة او تعتمد برامج حديثة بل هي في معظمها موسمية وظرفية واهدافها بحت تجارية.

ومن الصحيح ايضا ان هناك اكثر من علامة استفهام يجب وضعها تحت مفهوم الاكاديميا في لبنان، فليس كل من استاجر ملعبا وتعاقد مع مدربين او ثلاثة لا يحملون شهادات تخولهم التدريب، بات يملك اكاديميا. فالاكاديميات اصبحت تتكاثر بشكل غير معقول، وهي في غالبيتها غير محترفة، بدليل عدم وجودها في البطولات او الدورات التي تنظمها الاتحادات. هذا الامر يلحق الضرر بالاولاد لانهم ضحية هذه الفوضى. فهم يتدربون بطريقة غير احترافية، وباشراف مدربين غير مؤهلين لهذه المهمة، وهذا الامر لا يضر بهم فحسب بل يضر ايضا بمستقبل اللعبة في لبنان وقد دفعنا وندفع ثمنه باهظا من خلال النتائج التي نحصدها في بعض الالعاب نتيجة العشوائية والفوضى وتغلب المنطق التجاري على المنطق الاكاديمي!

في المقابل، قد يكون هناك اكاديميات تعمل بجدية، وقد لا تتعدى اصابع اليد الواحدة، ولكن ضمن اي امكانات او قدرات، او ضمن اي رقابة او معايير تضمن جودة الانتاج. صحيح ان هناك اكاديميات لديها برامج توأمة مع اكاديميات اجنبية بهدف تطوير مدربيها دوريا واطلاعهم على البرامج الحديثة من خلال معسكرات تنظم لهم دوريا في لبنان وفي بلدان اوروبية، لكن هذا لا يكفي لبناء اجيال موهوبة تملك مقومات النجاح. ولا شك في ان ضعف دوري الفئات المعرية بين 12 و18 سنة يحول دون سلوك سكة التقدم، فغياب الاحتكاك القوي بين اللاعبين وعدم وجود مستوى فني متطور يحولان دون بلوغ الاهداف المرجوة. فكيف يمكن تطوير مستوى الاولاد عندما تلعب بعض الاندية ثلاث او اربع مباريات قوية من اصل 18 مباراة في الموسم، في حين ان اللقاءات الاخرى تنتهي بنتائج كبيرة!

وفي مقارنة بسيطة تقام في الدول الاوروبية 36 مباراة في الموسم، بينما يقتصر الامر في لبنان على 18 مباراة فقط. لذا فان طريق التطور تبدأ بزيادة عدد المباريات محليا، والمشاركة في دورات اوروبية قوية للاحتكاك مع لاعبين من مستوى اعلى، لكن كل ذلك لن يثمر، الا في حال وضعت قوانين ومعايير لتنظيم الاكاديميات في لبنان حتى لا تبقى الامور عشوائية.

اكاديميا نادي بنفيكا الملقبة بـ"جامعة بنفيكا".

بعض الاندية تستند الى اكاديمياتها من اجل انعاش خزائنها المالية